



ABSTRACT

This seminar paper is an attempt to unveil the origin of the Arabic Language as a language. The paper first looked into the meaning of language in a general sense and then continued to study the beginning of the existence of Arabic language, and the factors that aided its development up to where the language rich today as one of the international language of the world. .

Keywords: Origin, Development, Arabic, existence and Factors.

تاريخ نشأة اللغة العربية

THE ORIGIN AND THE DEVELOPMENT OF ARABIC LANGUAGE

MUHAMMAD BELLO IDRIS

School Of Education, A.D.R College of Education, Legal and General Studies, Misau, Bauchi State.

Introduction

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي يخلق ما يشاء ويختار، وهو أعلم حيث يجعل رسالته باختياره اللسان العربي ليكون لغة آخر وحي سماوي، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، وإن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

والسلام والسلام على النبي العربي القائل: "...من تكلم بالعربية فهو عربي" وعلى آله وأصحابه وكل من نسج على منوالهم إلى يوم الدين.

وبعد، فإن الأوراق التي بين يدي القارئ لتحمل في دفتيها بحثا متواضعا بعنوان "تاريخ نشأة اللغة العربية"، ويبدو هذا العنوان صغيرا في حجمه، ولكن بمراعاة ما يتطلبه البحث العلمي من حقوق فإنه موضوع واسع نطاقه، ومهما يكن الأمر من شيء فإن الباحث قد حاول إعداد هذا العمل في مبحثين من قبلهما مقدمة، وتمهيد ومدخل، وتذييلهما الخاتمة، على النحو التالي:

- تمهيد: التعريف باللغة
- مدخل: أصل اللغة الإنسانية
- المبحث الأول: اللغة العربية نشأة وتاريخا
- المبحث الثاني: تطور اللغة العربية، مراحلها وعواملها
- الخاتمة: ملخص البحث.

بهذا القدر يؤمن الباحث بأن هذه الأوراق تضيء قسطا ولو كان بسيطا إلى معلومات بعض القراء، وتقرب ما بعد للبعض الآخر، والله ولي التوفيق.

تمهيد

اللغة تحت مهجر المعجم والدلالة:

اللغة: أصلها من لغا - يلغو - لغوا: بكذا إذا تكلم به، وهي على زنة "فعللة" نحو: كرة - قلة، وقيل أصلها "لغو" ويجمع على "لغات" أو "لغى" أو لغون.



- فالقو: النطق أو ما لا يعتد به من كلام وغيره، وفيه قوله تعالى: (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) (الوقعة: 25)، وهي تختلف عن اللغة التي تعني الكلام المصطلح عليه كل قوم⁽⁶⁰⁾.
- وفي الاصطلاح:** "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽⁶¹⁾، وفي عبارة أخرى:
- أ- هي كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ، وهي ضربان:
 - طبيعية: كبعض حركات الجسم والأصوات المهملة.
 - وضعية: وهي مجموعة رموز أو إشارات أو ألفاظ متفق عليها لأداء المشاعر والأفكار.
 - ب- هي مجموعة مفردات الكلام وقواعد توليفها التي تميز جماعة بشرية معينة تتبادل بواسطتها أفكارها ورغباتها ومشاعرها.
 - ت- هي مجموعة الألفاظ والصيغ اللغوية وخصائص الأساليب الكلامية التي يتميز بها مؤلف ما أو طائفة اجتماعية معينة⁽⁶²⁾.

مدخل: أصل اللغة الإنسانية:

ذهب بعض العلماء إلى أن اللغة إلهام ووحى من الله، واستدلوا بقوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) (البقرة: 31) حينما ذهب بعض آخر إلى أنها "مواضعة واصطلاح" أي نظام وضعه المجتمع الإنساني الأول، واستدلوا بالأية نفسها، بيد أنهم فسروا كلمة "علم" بمعنى أقدر، أي: أعطاه الله القدرة على أن يسميه ما شاء، فرأى الفيلسوف اليوناني أرسطو "أن اللغة ظاهرة اجتماعية طبيعية ليس للإنسان دخل فيها" وهو بهذا يوافق المذهب الأول، ورأى أفلاطون أن اللغة "ظاهرة اجتماعية نشأت نتيجة لاجتماع البشر" وهو يتماشى مع المذهب الثاني⁽⁶³⁾.

المبحث الأول: اللغة العربية نشأة وتاريخا

اللغة العربية إحدى اللغات السامية -نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام- انشعبت هي، وهي من أرومة واحدة نبنت في أرض واحدة يصطلح عليها علماء اللغة "باللغة البروتوسامية Proto-Semitic" أي النمط البدائي أو الأصلي من اللغة الأولى التي أنجبت مجموعة اللغات السامية، الباقية منها والبايدة⁽⁶⁴⁾.

والعلماء يردون اللغات السامية إلى الأرامية والكنعانية والعربية كما يردون اللغات الآرية إلى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية. فالأرامية أصل الكلدانية والآشورية والسريانية، والكنعانية مصدر العبرانية والفنيقية، والعربية تشمل المضربة الفصحى ولهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبيشة⁽⁶⁵⁾.

والراجح في الرأي أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم، لأنها بانزعها عن العالم سلمت مما أصاب غيرها من التطور والتغير تبعا لأحوال العمران⁽⁶⁶⁾.

وهناك العديد من الآراء في أصل العربية لدى قدامى اللغويين العرب:

- فيذهب البعض إلى أن يعرب بن قحطان بن هود -عليه السلام- كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي فسميت اللغة باسمه⁽⁶⁷⁾.
- وورد في حديث نبوي أن نبي الله إسماعيل بن إبراهيم أول من فتق لسانه بالعربية المبينة وهو ابن أربع عشرة سنة⁽⁶⁸⁾، ولكن مصطفى صادق الرافعي يبدو في صورة المضطر إلى التسليم بصحة الدليل التاريخي، بأن العربية لم تكن لسان إسماعيل، ولا لسان أبيه إبراهيم عليهما السلام، وأنها لم تجر على لسان إسماعيل إلا بعد أن أسكنه أبوه الوادي غير ذي الزرع كما جاء في الذكر الحكيم، وبعد أن شب إسماعيل عن الطوق اجتاز الصبا وبلغ الغلواء تزوج من جرهم، ومنهم تعلم العربية⁽⁶⁹⁾.

60 . ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص251-252، ولويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ص726، المعجم الوسيط، مادة "لغا"، ص876.

61 . لسان العرب، المرجع السابق، والصفحة نفسها، والخصائص لابن جني.

62 . معجم المصطلحات في اللغة والأدب، باب اللام، ص318.

63 . مذكرة في فقه اللغة بالجامعة الإسلامية بالنيجر، 2006م.

64 . محمد صبري راضي (الدكتور)، تجديد دماء اللغة العربية.

65 . راجع: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، الفصل الأول ص15.

66 . أحمد حسن الزيات، المرجع السابق نفسه.

67 . ar.wikipedia.org. راجع موقع.

68 . رواه السيوطي في الجامع الصغير، (2837).

69 . نقله د. صبري من "فقه اللغة" لعبد الواحد وافي (بتصرف من الباحث).



- وأما البعض الآخر فيذهب إلى القول أن العربية كانت لغة آدم عليه السلام في الجنة، إلا أنه لا وجود لبراهين علمية أو أحاديث نبوية ثابتة ترجح أيا من تلك الادعاءات⁽⁷⁰⁾.
فخلاصة القول في هذا الصدد أن اللغة السامية الأم قد تفرعت أصلا إلى فرعين شرقية؛ (الأكدية أو المسمارية)، وغربية؛ ومنها تفرعت شمالية وجنوبية أخرى، وتفرعت منها العربية الشمالية القديمة يتكلم بها العدنانيون، وكذلك العربية الجنوبية القديمة التي نشأت في جنوبي الجزيرة يتكلم بها القطانيون⁽⁷¹⁾.
وقد حاول علي الجارم والآخرين تلخيص هذه التفريعات إلى ثلاث وهي العرب البائدة، العرب العاربة، العرب المستعربة⁽⁷²⁾.
علما بأن العرب كانوا أميين لا تربطهم تجارة ولا إمارة ولا دين وهم أمة الحل والترحال فمن تأثير الخلطة والاعتزال، نجم الاضطراب في اللغة كالترادف، واختلاف اللهجات في الإبدال والإعلال والبناء والإعراب، وهنات المنطق كعجعة قضاة، وكشكشة أسد وما إلى ذلك⁽⁷³⁾.
ومهما يكن الأمر من شيء؛ يتفق علماء اللغة على أن اللغة العربية تنفرد من بين شقيقاتها الساميات من حيث كثرة تشبهها وشدة اقترابها من السامية الأم⁽⁷⁴⁾.

المبحث الثاني: تطور اللغة العربية؛ مراحلها وعواملها

إن اللغة كائن حي، لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفرادها كما أنها تتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه⁽⁷⁵⁾.
ولقد شهدت اللغة العربية تطورا هائلا في مراحل متعددة متعاقبة. وفيما يلي ذكر هذه المراحل والعوامل المؤثرة فيها.

أولا: أثر القرآن على اللغة العربية

لقد سعدت اللغة العربية بأن نالت عناية الله عز وجل باختيارها لغة لآخر كتاب سماوي القرآن الكريم، وقد ترك ذلك الكتاب أثرا بالغة، وبصمات واضحة على اللغة العربية من حيث توحيد لهجاتها المختلفة وتهذيبها من حيث المفردات والتراكيب، كما زودها بالمعاني والدلالات الطريفة، فلفظ الصلاة والحج والزكاة مثلا مفردات لها معانيها في الأصل، قبل أن منحها دلالات أخرى، كما ارتقى ببلاغة التراكيب العربية، وكان ذلك سببا في نشأة علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة والبلاغة فضلا عن العلوم الشرعية كأصول الفقه والتفسير، علوم القرآن والحديث وغيرها. ثم إنه حقق للعربية سعة الانتشار والعالمية، فدخلت مرحلة تعلمها عن طريق الكتاب، وهذا هو الأساس الذي قام عليه صرح العلوم اللغوية من نحو وصرف وأصوات وفقه اللغة والبلاغة والمعاجم، واستطاعت العربية وانتشار الإسلام أن تبدأ زحفها جنوبا لنحل محل العربية الجنوبية القديمة، ثم عبرت البحر الأحمر إلى شرقي إفريقيا، واتجهت شمالا فقضت على الأرامية في فلسطين وسوريا والعراق، ثم زحفت غربا فحلت محل القبطية في مصر وانتشرت في شمال إفريقيا فخلفت لهاجت البربر، وانفتح لها الطريق إلى غرب إفريقيا والسودان، ومن شمال إفريقيا إلى إسبانيا وجزر البحر المتوسط⁽⁷⁶⁾.

ثانيا: تطور اللغة العربية في العصر الأموي

ظلت العربية تكتب غير معجمة (غير منقوطة) حتى منتصف القرن الأول الهجري، كما ظلت تكتب غير مشكولة بالحركات والسكنات، فحين دخل أهل الأمصار في الإسلام واختلط العرب بهم، ظهر اللحن على الألسنة، وخيف على القرآن الكريم أن يتطرق إليه ذلك اللحن، فحينئذ توصل أبو الأسود الدؤلي إلى طريقة ضبط كلمات المصحف، فوضع بلون مخالف من المداد نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة تحته للدلالة على الكسرة، ونقطة عن شماله للدلالة على الضمة، ونقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله للدلالة على التنوين وترك الحرف الساكن خاليا من النقط.

70 . راجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي.

71 . ar.wikipedia . راجع: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، ص81، موقع:

72 . المفصل في تاريخ الأدب العربي.

73 . أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص16.

74 . محمد صوبي، المرجع السابق، ص92.

75 . رمضان عبد التواب (د.) التطور اللغوي، ص19.

76 . ar.wikipedia . موقع:



وفي القرن الثاني الهجري وضع الخليل بن أحمد طريقة أخرى، بأن جعل للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة ياء صغيرة تحته، وللضمة واوا صغيرة فوقه، وكان يكرر الحرف الصغير في حالة التنوين ثم تطورت هذه الطريقة إلى ما هو شائع اليوم.

فأما إعجام الحرف (تنقيطها) فتم في زمن عبدا لملك بن مروان، وقام به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، كما قام بترتيب الحروف هجائيا حسب ما هو شائع اليوم، وترك الترتيب الأبجدي القديم⁽⁷⁷⁾.

ثالثا: اللغة العربية في العصر العباسي

كان العصر العباسي الأول مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي ومغربه وفي الأندلس، حيث بدأت تلك المرحلة بالترجمة من اليونانية والفارسية ثم الاستيعاب وتطوير اللغة، ولم يعد معجم لغة البادية قادرا على التعبير عن معاني تلك الحضارة، فحمل العلماء على عاتقهم مهم تعريب مصطلحات غير عربية، وتوليد صيغ لمصطلحات أخرى، بهذا استطاعت العربية التعبير عن أدق المعاني في علوم تلك الحضارة الشامخة وأدائها.

رابعا: اللغة العربية في العصر الحديث

لقد ضعف شأن المسلمين والعرب منذ القرن السادس عشر الميلادي، وتعرضت بلادهم للهجات الاستعمارية، إذ رأى المستعمرون أن أفضل وسيلة لهدم تماسك المسلمين والعرب هي هدم وحدة الدين واللغة. وقد حاولوا هدم وحدة اللغة بإحلال اللهجات العامية محل العربية الفصيحة، وذلك في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر الميلادي، فأخذ دعايتهم يروجون لفكرة كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها عامة الناس، وطفق بعضهم يضع قواعد اللهجة لأبناء القاهرة، واقتراح آخرون كتابة العربية الفصيحة بالحروف اللاتينية إلى أن كل تلك الدعوات وأخفقت إخفاقا تاما.

وقد استردت العربية مكانتها التي انحطت منها في العراق، نتيجة حياة الترف التي راحت فيها بنو العباس، وحررت في الأندلس، بعد أن استعان بها الغرب إذ قام بترجمة نخبة إنجازاتها العلمية والأدبية إلى اللغات الأوروبية وسيلة ومخرجا من عصر الظلام (Dark Age) الذي ظلوا فيه في الفترة ما بين آخر الامبراطورية الرومانية، والقرن العاشر الميلادي⁽⁷⁸⁾ - بإنهاض حركة ثقافية في مصر، وقد اتخذت تأسيس المدارس، والجامعات، ودور الطباعة ومزاولة الصحافة والتمثيل، وإنشاء مجامع اللغة ووسائل لهذه النهضة الحديثة.

فهكذا مرت العربية بمراحل قبل وصولها وبلوغها أوج الكمال وواجهت مشاكل، ولكن لعناية الله بها وبوعده بأنه لا يزال يحفظ القرآن (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر: 9). والقرآن عربي، وما دام القرآن تحيا اللغة العربية، إن شاء الله.

الخاتمة:

للحمد بدءاً وخاتمة، لقد حاول الباحث من جراء هذه الصفحات المحدودة أن يسري بأي قارئ إلى ماهية اللغة بشكل عام، واللغة الإنسانية بشكل خاص، ومسيرها منذ نشأتها ومراحل تطورها عصرًا بعد عصرٍ إلى يومنا هذا حيث يتسنى لمن له بعد النظر، أن يتصور أو يتخيل مستقبلا باهرا لهذه اللغة. هذا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ثبت المراجع:

- القرآن الكريم
- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب.
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة.
- الزيانت، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- علي الجارم ومصطفى أمين، المفصل في تاريخ الأدب العربي.
- مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج1-2.
- محمد صبري، راضي (الدكتور)، تجديد دماء اللغة العربية، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية.
- الموقع: ar-wikipedia.org
- يسلم ولد محمود (الأستاذ)، مذكرة في فقه اللغة، الجامعة الإسلامية بالنيجر، 2006م.

77 . المرجع نفسه.

78 وجمعية الدعوة جهازية لبية "القراءات والنصوص" Oxford Dictionary .